

آلات الموت الثلاث

للكاتب الانجليزي تشيستون

عاش في بيت ريفي جميل قد
شاده على غط القلاع القديمة قريباً
من طريق السكة الحديدية ، إلا أن
أعصاب هذا السيد لم تكن لتتأذى
من دوي القطر أو جلجلة المرات
لم يكد القطار يدنو من المنزل
حتى اندفع إليه رجل لا يكاد المرء
يفرق بين سواد وجهه وسواد
ثوبه ؛ وأخذ يلوح بقفازه الأسود
ويصيح في صوت حادٍ مدو: قتيلا
قتيل ! لم يكن هذا الرجل الأسود
إلا خادم السيد أرمسترونج ، فوقف
القطار وأسرع الناس إلى المنزل
فأروا شيخاً ملقى على الأرض في
ثوب أصفر قد لُف حول ساقه
حبل طويل . وأغلب الظن أن
الشخص الذي لف هذا الحبل
قد لقي كثيراً من المقاومة

« تشيستون شاعر وقصص
وروائي يمتاز بدعائه المرحه ونكته
اللاذعة كما تمتاز قصصه البوليسية عن
قصص سير ارثر كونان دويل بروحها
الأدبي وأسلوبها الأخاذ ، ومن أشهر
مؤلفاته كتابه عن برنارد شو وهو
كتاب ينتزع من الانسان نفسه ويأخذ
على الفاريء كل تفكيره ، وسياس
الفاريء جانباً من مهارة هذا الكاتب
في فن القصة وتهيئة الجو لها وخلق
المشاكل الكثيرة حول أبطالها في
هذه القصة التي ألقها اليوم والتي
نعتبر بحق من أروع القصص البوليسية
دقة وتركيباً »

عرف الأب « براون » عن
طريق الوعظ والايمان أن
الانسان يطهر بالموت وأن روحه
تسمو بانفصالها عن الجسد ،
ولكنه لم يكد يعلم بقتل سير
« أرون امسترونج » حتى أحس
بالألم يحز في قلبه والحزن يعمل
في فؤاده . واستولى على الناس
كثير من الحيرة والدهشة
لاعتقادهم أن سير أرمسترونج
شخصية مريحة لا يتطرق إليها

والصراع من القتل . كان ذلك الشيخ الملقى على
الأرض هو السيد أرمسترونج

وفي تلك الساعة الرهيبة برز سكرتير القتل
« باريك رويس » وهو رجل معروف من رجال
الفن وأصحاب الحانات ؛ ثم جاءت في أثره ابنة الشيخ
المتوفى « أليس » ترتجف وتلهث . ثم أرسل في طلب
الأب براون فلي على عجل . فلما جاء إلى المنزل رأى
رجلاً من البوليس السري يدعى « مرتون » فانتحى
به جانباً من الحقل المجاور للمنزل وأخذاً يتحادثان
في أمر هذا القتل !

فقال مرتون : الواقع أني لا أرى شخصاً يحوم

اليأس ولا تبتئس لدوام الخطوب ، فقد كان سليم
الجسم صحيح العقل منبسط المزاج ، تأخذ أحاديثه
السياسية والاجتماعية بعقول الناس بأسلوبه الفكه
ونكته الباردة . ولا غرابة في هذا فقد انصرف
عن تعاليم الكنيسة الاسكتلندية إلى خور أدنبره
وقضى فيها زمرة شبابه . ثم ودع الحياتين « حياة
الدين وحياة الشراب » وسلك في الحياة طريقاً
خاصاً لا يدرى الانسان إن كان فيه من اتباع كلفن
أو من رواد الحانات ، وإن كان وجهه المستدير
ولحيته البيضاء وعويناته اللامعة تبعث في نفوس
الناس شعوراً مزيجاً من الرزاة والمرح

قتل هذا الشيخ ، ولكنني لست متأكد من هذا
فصاح مرتون قائلاً : « وهل تظن أن الناس
لا يحبون المرح ؟ »

فأجابه براون : إن الناس يحبون الضحك
التواصل ، ولكنني لا أظنهم يحبون الابتسام الدائم .
فالرح الخالي من الدعاية هو من أثقل الأشياء
على نفوسهم

ثم مضيا صامتين في ذلك الطريق الخضر
لا يسمعان إلا صفير الرياح وهسيس النبات حتى
أتيا رابية صغيرة تشرف على المنزل فوقها هناك ،
وأخذ الأب براون يتحدث كمن يريد أن يزيح شيئاً
ثقيلاً عن نفسه فقال :

« إن الشراب ليس خيراً ولا شراً في ذاته ،
ولكنني أشعر أحياناً أن كثيرين من الناس يطلبون
الكأس من وقت إلى آخر لتسكن نائرتهم وتهدأ
أعصابهم . ثم التفت حوله فرأى رئيس البوليس
السرى قادماً إليه ، فبادره مرتون بالسؤال :

— هل كشفت سر الجريمة ؟
— فأجابه « جليدر » وقد أخذ النوم بأهداب
عينيه : « ما من سر هناك » فابتسم مرتون وقال
« حسن ، ولكنني أراه مرأى »

فرد عليه الرئيس وهو يمشط لحيته بأصابعه : لم
يمض على ذهابك إلى الأب براون دقائق حتى وقفت
على الحقيقة كلها . أنك تعرف ذلك الخادم ذا القفاز
الأسود الذي أوقف القطار

— أوه . يجب أن أعرفه . فقد أفرغني
— ثم استطرد جليدر قائلاً : حسن . فلما
مضى القطار مضى معه ذلك الأسود
ياله من مجرم ثابت ! يريد أن يهرب بنفس القطار

عليه الشبهة ، فجنوس رجل غبي أبعد الناس عن أن
يكون سفاكاً للدماء ؛ وروليس صديق حميم للقتيل منذ
عهد بعيد ، ثم إنه معبود ابنته (أليس) فلا يمكن أن
يرتكب مثل هذا الجرم ويهدم سعادة هذا البيت المرح
— فأجابه براون : أجل ! لقد كان بيتاً مرحاً
قبل أن يموت صاحبه . أفنتظن أنه سيقى كذلك
بعد غياب سيده ؟

— أجل . لقد مات ! !
فضى الأب براون يقول : لقد كان مرحاً
حقاً ، ولكن هل كان هذا المرح شائعاً في نفوس
الآخرين الذين كانوا يقاسمونه العيش ؟ !
فأثار هذا الكلام شكوك مرتون وأخذ يفكر
في حياة ذلك الشيخ

لقد كان المنزل قابضاً للنفس ، وكانت غرفه عالية
ضيقة باردة يسري فيها بصيص من الضوء الباهت كضوء
القمر بل أشد شجوباً ؛ وكان كل شيء في المنزل
يبعث في النفس الكآبة والضيق والتفور . كذلك كان
الأشخاص الذين يقيمون فيه : فالخادم مجنوس كان
يلوح في قفازه الأسود الكبير كأنه طاغوت ثقيل ؛
والسكرتير رويس كان يُرى في لحيته المستديرة
الكثة ، وجهته التي ارتسمت عليها التجاعيد قبل
الأوان ، مثقل القلب محطوم الفؤاد مصدوم الأمان .
أما أليس فلم يكن فيها من صفات والدها شيء ،
فقد كانت شديدة الحساسية مرهفة الأعصاب حتى
أن مرتون طالما أشفق عليها وعجب كيف تنام تلك
المخلوقة الحساسة على صفيح القطار وجلجلة العربات ؟ !
ثم استطرد الأب براون قائلاً : إني واثق
من أن المرح الذي كان فيه سيرار مسترونج لم يغمر
المنزل كله . قد تقول إنه ليس هناك من يفكر في

وفي هذه الأثناء كان القطار قد وصل حاملاً
نفرًا من الجند ومعهم مجنوس فصاح جليدر، وهو
يقفز إليهم في خفة وسرعة : لقد أتوا به !
فدنا منه مجنوس وقال : أين المفتش ؟ فلما سمع
الناس صوته عرفوا كيف استطاع أن يقف القطار .
لقد كان يرى الهيئة دمى الصورة لم يتق دمه بمد
من لوئته القديمة ، ولكن صوته كان نافذاً قوياً
قدر ما كان وجهه شاحباً ميتاً . ثم صاح بصوت
مدو رنان : كنت أتوقع هذا ! ثم لوح بقفازه
في الهواء فنظر إليه جليدر بعين غاضبة ونادى
الجاويش وقال : ألا تنوى أن تغل يدي ذلك المخلوق ؟
يبدو لي أنه خطر

— حسن ياسيدي . ولكني لا أظن أننا
سننفذ هذا
— ماذا تعنى بهذا ؟ ألم تقبضوا عليه ؟
— أجل لقد قبضنا عليه وهو خارج من نقطة
البوليس حيث أودع أموال سيده لدى المفتش
« روبنسون »

فنظر جليدر إلى الرجل دهشاً وقال : لماذا
فعلت هذا ؟
— لآمن بها يد المجرم
— إن أموال السيد ارمسترونج يجب أن تترك
سليمة لأسرته

وفي هذه اللحظة علا صفير القطار واشتد قرع
الأجراس فغاب فيه صوت الرجل الأسود ولم يسمع
منه المفتش إلا هذه الجملة :

« ليس لدى ما يجعلنى أثق فى أسرة
ارمسترونج »

— فأجابه رويس في صوت خافت : عليك أن

الذى ذهب لاجتماع البوليس

— وهل أنت واثق تماماً من أنه هو القاتل ؟
— نعم يا بني إني متأكد من هذا ؛ فقد هرب
حاملاً معه العشرين ألف جنيه من الورق ؛ ولكن
المهم الآن هو أن نعرف كيف قتله . فقد وجدنا
الجمجمة مكسورة كما لو كانت مشجوجة بآلة ضخمة ،
ولكننا لم نجد شيئاً حوله ألبنة . وليس من المعقول
أن يحمل القاتل تلك الآلة ما لم تكن صغيرة جداً
بدرجة لا تلاحظ

فقال القس : ولكن ربما كان الموت بآلة
أكبر من أن تلاحظ .

فعجب جليدر لتلك الملاحظة الغريبة ونظر إليه
يستوضح قصده

فأجابه الأب براون . إن سير ارمسترونج
المسكين قد قتل بآلة مارد جبار
آلة أكبر من أن ترى هي التي نسميها الأرض .
لقد ألقى به في هذه البقعة الخضراء التي تقف عليها
الآن .

— ماذا تعنى ؟

فصوب الأب براون بصره إلى المنزل فرأى
نافذة مفتوحة قرب قمته فقال وهو يشير إلى تلك
الفتحة الصغيرة : « ألا ترى لقد ألقى به من هناك ! »
فنظر جليدر إلى النافذة وقال : من المحتمل جداً
أن يكون هذا ، ولكني لا أدري علة ترجيحك
هذا !

فخلق الأب براون بعينه الواسعتين وقال :
لماذا ؟ ألم تر الجبل حول ساق الرجل ؟ ألم تر قطعة
أخرى من الجبل مثبتة في النافذة ؟

— إنك مصيب في هذا يا سيدي . إني أسجل

ك هذا .

— سأقبض عليك من أجل هذا العمل

— لا بل اقبض على بتهمة القتل

— ماذا تعني ؟

— إن ما يقول هذا الرجل صحيح ، فإن مس

ارمسترونج كانت ترتجف وهي ممسكة السكينة في

يدها ، ولكنها لم تحتطف السكينة لتقتل أباه بل

لتدافع عنه

— تدافع عنه !! ضد من ؟

فأجابه السكرتير : ضدى

ف نظرت إليه أليس بوجه معقد غامض ثم قالت

في صوت خافت :

— إنى أشعر بالرغم من هذا بالفرح لشجاعته

فقال رويس : هيا اصعدوا معى فسأريكم كيف

حدثت تلك المأساة . ففي تلك الغرفة العالية حيث

كان ينام السكرتير كان موطن السر لتلك الجريمة

الروعة ؛ فعلى الأرض ألقى مسدس حديث الطلق ،

وبالقرب منه زجاجة من الخمر مفتوحة غير أنها لم

تكن فارغة تماماً . ثم إن غطاء المائدة كان مطويًا

وقد وجد عليها حبل طويل شبيه بذلك الذى كان

حول ساق القاتل

ثم قال رويس في سداجة الطفل : كنت

أشرب عندئذ . إنكم تعرفون كيف بدأت قصتى

وقد تنتهى إلى مثل هذه النهاية . لقد سمعت الناس

يصفوننى بالكاه أحياناً ، وكان فى استطاعتى أن

أعيش سعيداً ، فقد أنفذ ارمسترونج البقية الباقية

من عقلى وجسمى بعد أن أتت عليها الحانات

والقاهى ؛ وكان دائماً يحبونى بعطفه وحبه إلا أنه

تفكر فيما تقول ، فإنك ترجع مس ارمسترونج بهذا الكلام !

— إنى أود هذا . فقد طالما رأيته ترتجف ،

تارة من البرد ، وتارة من الخوف . ولكنى واثق

من أنها كانت ترتجف من الغيظ والحنق . لقد كانت

تود أن تفر اليوم مع حبيبها حاملة معها كل المال ،

لأن سيدى المسكين قد رفض أن يزوجه من ذلك

الحارس

فقاطعه جليدر قائلاً : صه ! فلا يعنيننا اليوم

شكوكك عن أسرتك ما لم تدعم هذه الشكوك

بالشواهد العملية

— سأقدم لك أدلة قاطعة على صحة ما أقول

« فقد أسرعت إلى الرجل وهو مربوط فى النافذة

فرايت ابنته تترنح فى مشيتها ممسكة خنجرأ فى يدها .

أرجو أن تسمح لى أن أقدم هذا إلى الجهات المختصة ؛

ثم أخرج من جيبه سكيناً طويلاً وقدمها إلى

الجاويز . فازداد حنق مرتون عليه وطالب من جليدر

أن يسمع أقوال مس ارمسترونج ، فصرخت الفتاة

وهي واقفة كأنما أصابها شلل ، ولم يبق فيها من علام

الحياة إلا عيناها اللتان تلمعان تحت جبين شاحب

مغضن قد تهدل عليه شعر أسود قاتم . فالتفت

إليها جليدر وقال :

— إن هذا الرجل يقول إنه رآك ممسكة سكيناً

وأنت لا تكادين تشعرين بنفسك بعد القتل

فأجابه (أليس) قائلة : إنه صادق

وعندئذ اندفع بآريك رويس بين الجند وهوى

على مجنوس بقضيب كبير من الحديد ؛ فأسرع الجند

إليه وألقوا القبض عليه وصاح فيه جليدر قائلاً :

له : إنك رجل ذكي وإنى أعرف أنك تحاول إنقاذ رويس ، ولكن عبثاً تحاول . إن كل شيء يقف ضد ذلك الرجل الذى أحب ...

فنظر إليها براون وقال لماذا ؟

— لأنى وجدته بنفسى يرتكب جريمة

— وماذا عمل ؟

— لقد كنت فى الغرفة المجاورة لهما ؛ وكان

البابان مغلقين ، ونجاة سمعت صوتاً لم أسمع مثله من

قبل يدوي كأنه الرعد : « الجحيم ! الجحيم ! الجحيم ! »

ثم سمعت البابين يهتان من أثر الطلقة الأولى .

سمعت هذا ثلاث مرات قبل أن أفتح البابين وأرى

الدخان يملأ الغرفة . لقد كان ينبعث من المسدس

الذى كان فى يد باتريك المسكين وهو يطلق الطلق

الأخير ... ثم رأيته يقفز إلى أبى الذى كان ممسكاً

بالنافذة . ياله من منظر صريع فظيع وهو يزجر

ويصبح محاولاً أن يجلس أنفاسه بالحبل الذى ألقاه

على رأسه ، ولكن الحبل انزلق عن كتفه إلى

ساقه من أثر المقاومة العنيفة ثم أخذ يجره كالجنون .

فاختلطت سكينه واندفعت بينهما لأقطع الحبل قبل

أن يستولى على الضعف والإغماء

فأجابها الأب براون : إنى فاهم . أشكرك !

ثم تركها غائبة فى ذكرياتها المؤلمة الثقيلة ومضى

إلى جليدر ومرتون ومعهما رويس ، فقال لهم :

لقد أخبرتكم أن هناك آلات كثيرة لم تستعمل

للقتل ، فالسكينة المملوطة بالدم والمسدس والحبل كانت

أدوات رحمة وإنقاذ لم تستعمل فى قتل سيرايرون

بل لإنقاذه

لم يسمح لى أن أتزوج أليس . ربما كان محقاً فى هذا . أظن أنكم لستم فى حاجة إلى مزيد ... فهما كم زجاجة الويسكى لا يزال فيها بقية ملقاة على الأرض وهما كم المسدس الذى أفرغته حديثاً ، وبقية الحبل الذى أوثقت به الرجل وألقيت به من النافذة . إنكم لستم فى حاجة إلى بوليس سرى يكشف عن مأساتى فهى ظاهرة للعيان ، وهأنذا أقدم نفسى لأستوفى جزائى !!

فهم الجند بالقبض عليه لولا أن صوت الأب براون دووى عالياً وهو يقول :

— قفوا . إن هذا مستحيل . لقد كنتم

تقولون أولاً إنكم لم تجدوا آلات ، ولكننا قد

وجدنا الآن كثيراً . فهما السكينة للطعن ، والحبل

للخنق ، والمسدس للطلق . ثم إن القاتل قد كسر

رقبة ضحيته بأن ألقي به من النافذة . لا يمكن أن

يحدث هذا كله ، فإن هذا القتل يتناقى مع مبادئ

الاقتصاد . ثم إننا نجد أشياء لا يمكن أن تحدث .

فهذه الثقوب التى نراها فى البساط حيث نفذت

فيها الرصاصات الست . فهل يطلق الإنسان النار

على البساط ؟ إن الخمر يصبوب المسدس إلى رأس

عدوه ، فهو لا يهجم على قدميه أو يرسم العلامات

لقفزاته . ثم الحبل ، فكيف يصدق العقل أن إنساناً

يضع الحبل فى عنق إنسان ثم يعود فيربط به ساقه ؟

إن رويس لم يكن على أية حال غائباً عن عقله حتى

يفعل هذا ... ثم دنا من رويس وقال : إنى آسف

يا عزيزى أن أقول لك إن قصتك تافهة بعيدة عن

الحقيقة ...

ثم انتحى أليس بالقس بعيداً وأخذت تقول

— فأجابه رويس : ولكن ألا ترى أنى قلت
هذا لكي لا تعرف خطأها !
— فقال مرتون : لا تعرف ماذا ؟
— انها قتلت أباهما أيها المنفل !
— انها ستجن لو أنها عرفت هذا
— فقال الأب براون وهو يتناول قبعته :
لا أظن هذا . إنني أفضل أن أخبرها بالأمر . فإن
أشنع جرائم القتل لا تسمم الأفكار كالخطايا . ثم
انصرف
وبينما هو في طريقه إلى منزله قابله أحد أصدقائه
فقال له :
— لقد وصلت النياية الآن وستباشر التحقيق !
فأجابه الأب براون : يؤسفني ألا أحضره !!
(ن . ع)

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتي العصر
لموسيه ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات نائب
في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

فأجابه جليدر — لا تقاذه ؟ ومم
فقال الأب براون : من نفسه ، فقد كان مجنوناً
بهم يقتل نفسه
فصاح مرتون في نعمة المبتهج المتشكك : ماذا ؟
— انها نوبة دينية تستولى عليه من وقت إلى
آخر . فلماذا لم تتركوه ينفّس عن نفسه بالبكاء
كما كان يفعل آبؤه . لقد ضاقت به الحيل ، وسدت
أمامه السبل . إذ كان وراء ذلك النقاب المرح
الطروب عقل شاك وقلب خال من الايمان . فكان
إذا ما جاءته تلك النبوة انكفأ إلى الشراب يعب منه
ما ينسيه نفسه . وكان يمتقد أحياناً أنه في الجحيم
التي طالما أنذر الناس من شر عذابها . وهذا هو
ما كان عليه اليوم فقد أخذ يهذي كالحموم ، واندفع
إلى الموت كالجنون ، وأخذ يمتال عليه بشقى الطرق :
بالحبال والسكينة والسدس . فاتفق عندئذ دخول
رويس فألقى السكينة خلفه على البساط واختطف
السدس . ولما لم يجد لديه وقتاً ينزع منه الرصاصات
أخذ يطلقها في الأرض الواحدة بعد الأخرى .
ولكن المنتحر رأى أمامه طريقة أخرى للموت
فاندفع إلى النافذة . فلم يسع المنقذ إلا أن جرى
خلفه بالحبل محاولاً أن يربطه من ذراعه وقدمه ؛
وعندئذ دخلت الفتاة فأساءت فهم ذلك الصراع
العنيف الذي كان بين الاثنين فأسرعت إلى والدها
لتنقذه ، وعملت على هذا حتى تقاطر منها الدم ،
ولكنها استطاعت قبل أن تنور قواها أن تخلص
والدها فهوى من النافذة إلى الأبدية !
فالتفت جليدر إلى رويس وقال : أظن أني لم
أخطئ عندما قلت لك والفتاة أنكما بعيدان عن
القتل !